

إشكالية اللغة والتغير الاجتماعي في ظل مسارب العولمة

د/ سليم العايب

جامعة البليدة 2

ملخص :

تمثل اللغة وسيلة للتواصل و التفاعل الاجتماعي كونها ظاهرة اجتماعية تعبر عن نتاج جماعي بعينه ينمو و يتطور ، فهي من صنع المجتمع و فيه أيضاً يكون استعمالها و تعلمها و التعامل بها ، و هي بذلك تحمل خصائص المتلاخين بها و مستعملها ، فضلاً على أن هناك عوامل عدة تعمل على تطورها ، من بينها العوامل الاجتماعية التي لها تأثير كبير على اللغة حيث تختلف هذه العوامل من مجتمع إلى آخر كما أنها تختلف في المجتمع الواحد باختلاف الفترات الزمنية ، و كذا الطبقات و الفئات الاجتماعية والأنشطة و الأعمال التي يمارسونها ، زيادة على تأثير العولمة و مساربها (المسارب المعلوماتية والإعلامية و المنتجات الاستهلاكية) في عصرنا الحالي حيث أن حتى اللغة قد مستها آثار العولمة و عليه تكمن إشكالية المقال في:

ماهي اللغة ؟ و ماهي خصائصها ؟

ما هي عوامل التطور اللغوي ؟

ما هي مسارب العولمة و تأثيراتها على العادات اللغوية للأفراد ؟

Résumé:

La langue représente un moyen de communication et d'interaction sociale étant un phénomène social qui exprime un aboutissement collectif qui se développe et grandit ; elle est aussi un produit de la société ou se concrétise son utilisation, son apprentissage et les échanges linguistiques entre individus, par voie de conséquence, elle reflète les caractéristiques de ses utilisateurs.

Il existe plusieurs conditions conduisant au développement de la langue, parmi lesquelles il y a les conditions sociales qui ont une grande influence sur la langue. Ces conditions diffèrent d'une société à une autre et d'une période à une autre au sein même d'une seule société, de même que pour les activités et les fonctions, ajoutant à cela l'influence des composantes de la modalisation (composantes informatiques, médiatiques et

produits de consommation) étant donné que même la langue est touchée par la modalisation.

Ceci dit, les problématiques du présent exposé sont les suivantes: Qu'est-ce que la langue ? Quelles sont les conditions permettant son développement? Quelles sont les composantes de la modalisation et qu'elles sont leurs influences sur les traditions linguistiques des individus?

مقدمة :

تعد اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري، و هي مركب و معقد و ترتبط ارتباطا عضويا بجميع المعارف الإنسانية ، كما أن اللغة أساس التواصل و الركييزة الأساسية لتحقيق التفاعل و التبادل و الاتفاق في نسق العلاقات الاجتماعية و عليه فاللغة هي الوسيلة الاجتماعية للتطبيع الاجتماعي ، وهي مرآة أي مجتمع تتمثل فيها حضارته و قيمته ، و موقعه في السلم الإنساني.

أولا - ما هية اللغة و خصائصها :

إن اللغة على حد تعبير ثور ندياك أعظم ما ابتكره و ابتدعه الإنسان(1) ، إنها ضرورة أوجدها الاجتماع الإنساني قصد التواصل و التفاعل ، و إن اختلف الباحثين في تعريف اللغة حيث عرفها سابير sapir سنة 1921 بأنها " طريقة إنسانية و متعلمة لإيصال الأفكار و الانفعالات و الرغبات بواسطة نظام معين من الرموز اختاره أفراد مجتمع ما و اتفقوا عليه "(2) كما أنها بجانب كونها ظاهرة نفسية فسيولوجية فهي نشاط جماعي ناتج عن التفاعلات الاجتماعية و هي ترتبط ارتباط وثيقاً بحاضر جماعتها و تاريخها (3).

إلا أن هناك جملة من الخصائص التي تميز اللغة الإنسانية عن غيرها و نذكر منها :

أن اللغة تتسع للتعبير عن تجارب الإنسان و خبراته و معارفه .

اللغة رمزية عرفية اصطلاحية موضوعية غير مباشرة .

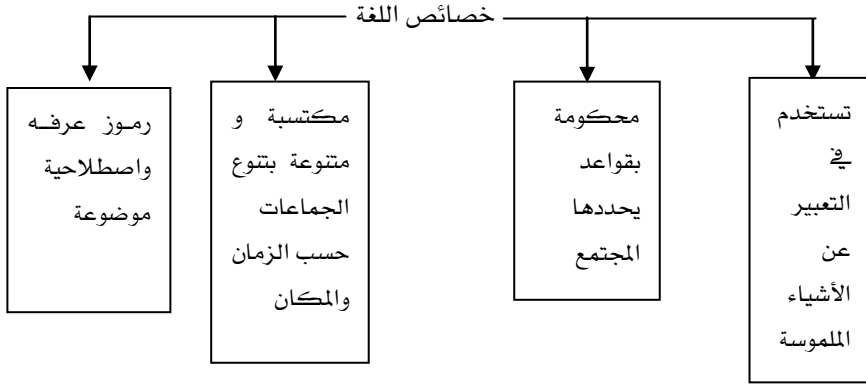
تستخدم الإنسان اللغة في التعبير عن الأشياء الملموسة (هذا كرسي) و الأشياء المجردة (الحرية شيء ثمين) .

لغة الإنسان محكومة بقواعد يفرضها المجتمع (القواعد اللغوية ... الخ) .

اللغة مكتسبة حيث حسب علماء الاجتماع هي نتاج العقل الجمعي كما تتنوع الجماعات التي تستخدمها باختلاف المكان و الزمان و هو ما يشير إليه ابن منظور في معجم لسان العرب ، حيث أن اللغة تتبدل و تتطور حسب تبدل الأقاليم و الأحوال (4) فالفرد يتعلم لغته و لا يخلقها

، فاللغة نظام قائم بالفعل ، إنها جزء من الثقافة التي يكتسبها المجتمع الذي تنسب إليه و هي قابلة للانتقال مثل أي جزء آخر من الثقافة (5).

مخطط خصائص اللغة



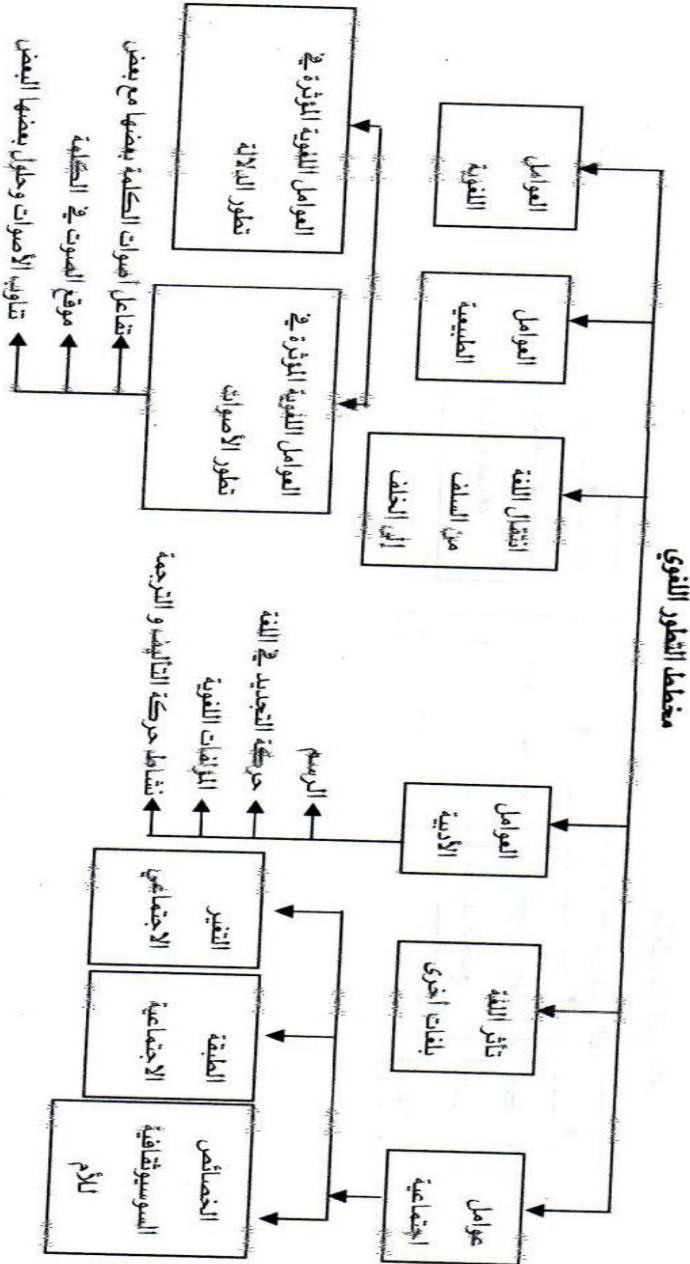
ثانيا - عوامل التطور اللغوي :

كون أن اللغة لا تخرج عن نطاق الظواهر الاجتماعية فهي تخضع لناموس التطور والتغيير وفي هذا يقول الدكتور محمد المبارك في كتابه فقه اللغة و خصائص العربية « إن ما يعتري الكائنات الحية من تبدل و تحول قد يعتري كذلك الألفاظ فتتغير من ناحية شكلها و مبناها كما تتغير حروفها ... أو من ناحية معناها »(6).

و الظاهر أن كل التغيرات التي تصيب اللغة مهما اختلفت في طبيعتها و سرعتها و مجالها تسير وفقا لقاعدة أساسية واحدة تشمل مرحلتين :

أ - مرحلة التغيير نفسه أو الابتداء و التجديد .

ب- مرحلة انتشار التغيير وصولاً إلى تسجيل الكلمات و معانيها في معاجم اللغة ، و من هذا المنطلق فإن العادات اللغوية للأفراد تتغير تناسبا مع ما يحدث بشكل عام من تغيير و ما يستجد من ألفاظ سواء كنتيجة للمخترعات و الاكتشافات الجديدة أو تأثراً بالحضارة الحديثة و نحاول التطرق ضمن هذه المداخلة إلى عوامل التطور اللغوي محاولين التركيز على العوامل الاجتماعية بشكل خاص .



1.2 أثر العوامل الاجتماعية على اللغة و تطورها :

أ- الخصائص السوسيوثقافية للأمم :

كما أشرنا سابقا فان اللغة تخلقها طبيعة الاجتماع الإنساني وما يقتضيه هذا النسق من الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل الأفكار، فهي بالتالي نظام اجتماعي تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات تتطور بتطوره و تنمو بنموه ، فلذا عرفنا مما يتكون المجتمع وخصائصه عرفنا بالتالي العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التطور و التغير اللغوي(7).

فاللغة تتأثر بخصائص الأمة الحضارية و الثقافية و نظمها الاجتماعية (النظام السياسي، الديني ،الاقتصادي ...الخ) ، وينعكس ذلك بشكل كبير على العادات اللغوية للأفراد لاسيما أن اللغة هي إحدى مقومات الأمم و السجل المدون لتاريخها ، ونلمس ذلك حينما تتعرض إحدى المجتمعات للاحتلال حيث تسعى الدولة المحتلة إلى فرض لغتها على المجتمع المحتل محاولة طمس لغته الأصلية من خلال إستخدام كلي للغة المستعمر ضمن المؤسسات الحكومية و المدارس الرسمية وما إلى ذلك ، هذا ونجد أن اللغة بدائية في المجتمع البدائي ، تعتمد على المفردات الدالة على المحسوسات و الأمور الجزئية و تنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعاني الكلية وتخلو دلالة المفردات من الدقة و الضبط ، فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام و تفتقر القواعد أو تكاد تفتقر إلى ظواهر التصريف و الاشتقاق و ربط عناصر الجملة ببعضها البعض، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة(8).

و كثيرا من المجتمعات البدائية ينعكس في اللغة مظاهر الابهام و الاضطراب التي تمتاز بها عقليات الناطقين بها من سذاجة و قصور، كما هو الحال لدى قبائل البوشمان bouchimans إذ أنهم يلجأون إلى إشعال النار ليلا في حالة المحادثة حتى يتسنى لهم رؤية الإشارات و الحركات اليدوية ، و الجسمية المصاحبة لكلامهم فتكمل لغتهم و تشرحها(9). كما أنها بدوية في المجتمع البدوي غير المتحضر حيث تكون محدودة الألفاظ و التراكيب فاقدة للمرونة ، أما في المجتمع المتحضر فإنها هي الأخرى - اللغة - تكون متحضرة الألفاظ و منتظمة القواعد و يسيرة في النطق .

كذلك فإن النظم الاجتماعية تعمل على إحداث التطور اللغوي ، فالعادات اللغوية التي إمتاز بها الأفراد في النظام السياسي الملكي مختلفة عما هو عليه في النظام الديمقراطي ، ففي الحرب العالمية الثانية اتخذت كلمة الديمقراطية لونا جديدا و تغيرت دلالة الحلفاء ، فبينما كانت تتضمن في نظر الغربيين بغضا للروس ، لأنهم لم يكونوا حلفاء من قبل ،

وأصبحت أثناء الحرب العالمية الثانية من جملة ما تعنيه مشاركة الروس في التخلص من عدو مشترك(10) و نفس الشأن فيما يخص النظام الاقتصادي فالتطور الاقتصادي في أمة من الأمم يتبعه تطور لغوي .

ب- الطبقة الاجتماعية :

إن تبين الطبقات الاجتماعية في المجتمعات و ما يميز الواحدة عن الأخرى من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية و الاقتصادية يساهم بشكل كبير في تطور اللغة و تغير العادات اللغوية عند الأفراد ، حيث أن الطبقة الأرستقراطية لها عادات لغوية خاصة تختلف عما هو موجود لدى الطبقة المتوسطة و الدنيا من المجتمع(11) فقد كان العرب في بداية العهد الإسلامي من أكثر الشعوب ميلاً إلى المساواة بين الأفراد ولذلك ساد في خطابهم ضمير المفرد و لم تظهر في لغتهم سميات المبالغة في التبجيل و لكن عقب اتساع ملكهم و احتكاكهم بالمجتمعات الأخرى و انغماسهم في الترف و اتجاه خاصتهم و أغنيائهم إلى الترفع عن الطبقة العامة و انحرفت معهم عاداتهم اللغوية حيث ساد فيها الخطاب المفرد بضمير الجمع و نفذت إليها ألفاظ الحضرة و ما شابها (12) .

هذا و نجد أيضاً أن فئة التجارين لهم عاداتهم اللغوية تختلف عن فئة البحارة و صيادي السمك ، و كذا فئة المزارعين لذا نجد أن كل فئة اجتماعية لها عادات لغوية و لو قليلة تختص بها و تتطور بنحو خاص.

ج- التغير الاجتماعي :

تخضع اللغة للتطور بفعل عملية التغير الاجتماعي ، حيث نشأت كلمات و توسع استخدامها ، أو تغير مدلول بعض الكلمات ، فحين انقرضت أخرى ، فالاختراعات و التقدم العلمي و التكنولوجي استدعى ظهور كلمات جديدة مناسبة لذلك فمثلاً كلمة " القطار " كانت تطلق في الأصل على عدد الإبل على نسق واحد ، تستخدم في السفر و في النقل و لكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتطور وسائل المواصلات فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية ، وصولاً إلى الشكل الحديث من القطار كما أن كلمة " البريد " كانت تطلق على الدابة التي تحمل الرسائل ثم تغير مدلولها تبعاً لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل ، فأصبحت تطلق على النظم و الوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر ، و هكذا فاللغة في عصر الحالي تختلف عما سبق من الزمن و قد تختلف فما يلحقه لأن هناك ألفاظاً و معارف جديدة و مدلولات جديدة لم تكن من قبل مثل : التلفزيون ، التلفاز ،

، القمر الصناعي الاستعمار الثقافي ، الحاسب الإلكتروني... الخ ، و لهذا كله دور في إثراء اللغة و تطويرها و تغير دلالتها (13) .
فضلاً على أن استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي ما يؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي و حلول هذا المعنى المجازي محله (14) .

2.2 تأثير اللغة باللغات الأخرى :

إن تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة ، بل العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغة مجاور لها كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي (15) وقد تختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقة التي تربط المجتمعين و ما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادي و الثقافي و كلما كثرت فرص الاحتكاك كلما نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي و سواء كان هذا بفعل الغزو و الاحتلال كما هو الشأن فيما يخص مجتمعات المغرب العربي خاصة الجزائر التي خضعت لمحاولة الفرنسية ، أو بفعل الهجرات أو التجاور الجغرافي كما هو الشأن فيما يخص حركة التبادل اللغوي بين العربية و الفارسية و التركية و اليونانية ، حيث امتازت هذه المجتمعات بخصائص مادية و فكرية ، فمن أشهر ما انتقل من الفارسية إلى العربية كلمة الإبريق ، الديباج ، الياقوت... الخ و من أشهر ما أخذته العربية من اليونانية أسماء بعض الآلات الخاصة بالرصد والجراحة و بعض مصطلحات الطب و الفلسفة و غيرها كالقبوس و هو أجود النحاس و القنطرة وغيرها (16) .

2- 3 العوامل الأدبية :

● الرسم : رغم أن معظم اللغات اعتمدت على مجرد التناقل الشفوي ، حيث كثيراً ما تعيش اللغة دون أن يكون لها سند تحريري، ولكن من المستحيل أن تنشأ لغة أو تبقى بدون أن يكون لها مظهر صوتي، فالرسم يعمل على ضبط اللغة وتسجيلها وهو قوام اللغات الفصحى ولغات الكتابة (17) .

وهناك أسلوبين للرسم استخدمت في مختلف اللغات أولهما هو الرسم المعنوي الذي يقوم على إعطاء معنى خاص لكل صورة خطية كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة ❖ ، وثانيها هو أسلوب الرسم الصوتي الذي يضع لكل صوت صورة خاصة ، وقد تم توظيفه في كثير من اللغات القديمة ، فضلاً عن استخدامه الآن لدى معظم الشعوب المتعدنة .
ورغم فوائد الرسم التي ذكرناها آنفاً فإنه كثيراً ما يتأثر الفرد في نطقه للكلمة بشكلها الكتابي فلا يلفظها بالصورة التي انتهى إليها تطورها الصوتي بل ينطق بها وفق رسمها ، على

أن ثبات الرسم على حالته القديمة أو ما يقرب منها يساهم في توحيد شكل الكتابة عبر العصور ويتيح سهولة تناقل اللغة وإمكانية الانتفاع من مؤلفات السلف (18) .

● **حركة التجديد في اللغة :** يبرز ذلك في مظاهر كثيرة أكثرها تأثيراً في التطور اللغوي نذكر ما يلي:

- تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية وترجمتهم أو اقتباسهم لمفرداتها ومصطلحاتها ، وتوظيف أفكار أصحابها وانتاجهم الأدبي والعلمي وخير مثال عن ذلك هو انتفاع أدباء وعلماء العرب في عهد الدولة العباسية من اللغتين الفارسية والإغريقية فكانت نهضة اللغة العربية آنذاك.

- إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة والمهجورة سواء لندرة ما يعبر به عن مقاصدهم ، أو ترفعا عن ما تكرر استخدامه .

- خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة وهذا بغرض التعبير عن أمور لم يجدوا من الألفاظ المستخدمة ما يدل عن معناها بدقة أو بقصد الإبداع ، مثل كلمة سوسيولوجيا أي علم الاجتماع ، فصدر الكلمة لاتيني معناه الجماعة وعجزها يوناني معناه المقال أو البحث .

● **المؤلفات اللغوية :** وتشمل كل البحوث الهادفة إلى حفظ اللغة وضبطها مثل كتب القواعد الخاصة بالنحو والصرف ، الاشتقاق...الخ ، وكذا المعاجم وكتب أدب اللغة ودراسات أصوات اللغة ومخارجها .

2- 4- انتقال اللغة من السلف إلى الخلف :

رغم أن المحاكاة والتعلم هما سبيل الطفل لتعلم اللغة عن والديه والآخرين ، إلا أن لغة الخلف تختلف عن لغة السلف في كل مجتمع في كثير من المظاهر.

● **العوامل الاجتماعية :** أحدهما هو النظم والتقاليد التي يعتمدها المجتمع لتلقين الأطفال اللغة في الأسرة و المدارس ، والتي تعكس اتجاهات وأهداف المجتمع وما يسعى إلى تحقيقه في مجال التربية والتعليم ، والعامل الآخر هو كثرة استخدام الكبار في جيل ما لبعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع أو المجاز لدواعي اجتماعية خاصة ، وبهذا فإن الأسس التي يقوم عليها التطور اللغوي الناتج عن هاذين الأمرين يرجعان إلى ظواهر الاجتماع وتتطلبه الحياة الاجتماعية حيث يحدث التطور أثناء انتقال اللغة من السلف إلى الخلف (19).

● **العوامل غير الاجتماعية :** أحدها التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في الإنسان (قانون روسلو ROUSSELOT) ، والآخر يكمن في الأخطاء السمعية التي تنشأ عن ضعف بعض الأصوات والتي تؤدي إلى سقوط هذه الأصوات من حيز الاستعمال .

2- 5- العوامل الطبيعية:

هي غير اجتماعية وتظهر مظاهرها في مرحلة انتقال اللغة من السلف إلى الخلف وأهمها:

- البيئة الجغرافية : هي ذات تأثير معتبر في كثير من مظاهر التطور اللغوي حيث أن هناك توافق بين اللغة ومظاهر البيئة الجغرافية، حيث تنعكس الخصائص المميزة لها على لغة سكانها وتتجه نحو التطور وجهة خاصة وما نلاحظه من فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء ، وسكان الأودية وسكان المناطق الحارة والمعتدلة...الخ.

حيث نجد قسطن كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة مستمد من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد من تبرد أو صفاء وقبح أو جمال ، وصخب أو هدوء .

- اختلاف الشعوب بعضها عن بعض في خواصها الوراثية المتعلقة بأعضاء النطق وهذا ما يشكل سبب اختلاف اللغة الواحدة في تطورها الصوتي باختلاف الشعوب الناطقة بها ، إذ تأخذ في تطورها الصوتي عند كل شعب طريقا يتناسب مع ما فطرت وتعودت عليه أعضاء نطقه في طبيعتها واستعدادها ، ومنهج ارتقائها (20) .

فقد أخذت اللغة العربية في تطورها الصوتي وجهة كل شعب من الشعوب الناطقة بها حيث نتج عن هذا عدة لهجات مثل عامية المغرب وعامية الجزائر وعامية الشام وعامية مصر...الخ.

2- 6- العوامل اللغوية :

هي أمور ذاتية في اللغة نفسها ترتبط ببنية اللغة وممتها و أصواتها وعناصر كلماتها وقواعدها ونحن لسنا بصدد التفصيل فيها ضمن هذه المداخلة ولكن نشير إلى أنها تنقسم إلى قسمين :

- العوامل اللغوية المؤثرة في تطور الأصوات: يعود إلى ثلاثة أمور أولها تفاعل أصوات الكلمة مع بعضها البعض ، حيث يحدث بين الأصوات المتقاربة في الكلمة أنواع كثيرة من التفاعل ينتج بدوره نوع من التطور الصوتي وثانيها هو موقع الصوت في الكلمة سواء كان في آخر الكلمة أو وسطها أو أولها بحيث يعرضها إلى التطور والانحراف وثالثها تناوب الأصوات وحلول بعضها محل بعض.

- العوامل اللغوية المؤثرة في الدلالة: تتعلق بمدى ارتباط الكلمة بفصيلتها ومبلغ وضوح دلالتها في الذهن، ومدى ثبات أصوات الكلمة وكذا عوامل تتعلق بقواعد اللغة (21).

ثالثا - مسارب العولمة وتأثيرها على اللغة :

لقد أضحت العولمة اليوم واقعاً مفروضاً على مختلف المجتمعات انطلاقاً من عملية التثاقف ، حيث يتم التأثير المتبادل بين الثقافات لكن هذا التبادل لا يتم بنفس المستوى عند جميع

المجتمعات حيث أنه من الجلي أن النموذج الثقافي الأمريكي خاصة و هو الأكثر تأثيراً على باقي الثقافات من منطلق قوتها بشكل خاص و قوة اقتصادها أيضاً لا سيما و أن الثقافة في جانبها المادي أصبحت منتجات صناعية فالعولمة إضافة إلى الهدف الإيديولوجي تسعى إلى الإستحواذ على السوق العالمية ، مما يعني الدخول في منافسة ما بين الشركات المنتجة للمنتجات الثقافية من أشرطة و أفلام و برامج و جرائد و كتب و كل الدعائم المختلفة و كذا ما يتعلق بالأكل كالإطعام السريع و كذا أمور الصحة و التربية و السياحة أي كل ما من شأنه أن يدخل عناصر جديدة لثقافات المجتمعات المختلفة هذا الإتجاه الثقافي الجديد جعل الكثيرون يشعرون أن العصرية ستجمع ثقافات العالم تدريجياً نحو نموذج واحد (22)، إذ لا تقتصر العولمة على المنتجات الاستهلاكية ذات الطابع المادي ، بل إنها أعمق من ذلك ... إنها منتجات ثقافية معنوية من برامج إعلامية و معلوماتية و انترنت... الخ ، ولعل هذا أخطر ما في هذه العولمة ، لأن الذوق و السلوك الأمريكي سيغزو طريقه نحو العالمية في تصميم دلالاتها و منتجاتها الثقافية في محاولة لتثبيت الهيمنة المطلقة لهذا النموذج الثقافي مشكلاً بذلك ضابطاً لباقي النماذج الثقافية و تهديداً حقيقياً للتعدد و التنوع الثقافي بشكل عام ، حيث أنه عند ما يتم إدخال تلك المنتجات لا تستقبل على أنها أشياء ملموسة تستعمل ثم ترمى و إنما تتسرب في التركيبة الثقافية لتغير من عناصرها و تستقر ضمنها محدثة بذلك و على مستوى أشمل نوعاً من التغير الاجتماعي و اللغة ليست بمعزل عن هذا ، حيث أن العولمة قد تؤدي إلى إضعاف أو ضياع مئات اللغات دافعة بذلك التطور اتجاه اللغة الواحدة 2 و فيما يلي عرض لمسارب العولمة و تأثيراتها على اللغة(23).

● المسارب الإعلامية :

يتسم عصرنا الحالي بثورة إعلامية دعمتها التكنولوجيا الرقمية حيث أضحت العالم بأسره أشبه بقرية صغيرة لسرعة تسويق المعلومة و وجود وفرة كمية و نوعية للإعلام ، في حقبة تزداد فيها تكتلات وسائل الإعلام و التركيز المنتظر للسيطرة في أيدي عدد صغير من شركات عملاقة تزاوّل أعمال وسائل الإعلام و الترفيه العولمية (24) 1 ، إذ تعمل هذه الوسائل على تسريب عادات لغوية للأفراد و تثبيت لغة معينة عندهم ، تساعدنا في ذلك مرونتها و قوة نفاذها فضلاً على حجم الوقت الكبير الذي يقضيه الفرد في استهلاك المنتجات الإعلامية باختلاف و تعدد أنواعها (حصص ، أفلام ، مسلسل... الخ) و تنوع منابعها)

مرئي ، سمعي) و خصوصاً إذا عملنا أيضاً أن الإحصائيات تدل على أكثر من 70 ٪ من الأفلام التلفزيونية السينمائية بالإنجليزية و 65 ٪ من برامج الإذاعات في كل العالم بالإنجليزية(25) ، 1 فأصبح الطفل اليوم يتكلم عن رسوم متحركة بأسماء غربية أمثال سوبرمان ، باتمان ، رسوم متحركة بوكيمون ... الخ ، و بغض النظر عن محتوى القصة المتناولة ضمنها فإن اللغة الحوارية الموظفة تستخدم أسماء بعيدة كل البعد عن المجتمع العربي و لو كانت مترجمة إلى اللغة العربية ، و من الظواهر الملاحظة أيضاً و العاكسة لمدى التأثير بلغة الإعلام المزج الكبير بين اللغة المحلية (الدراجة) و المصطلحات الموظفة ضمن هذه المنتجات الإعلامية ، زيادة إلى هذا نشير إلى ظاهرة الإعلانات حيث كثيراً ما تستخدم المحلات التجارية و المؤسسات الخاصة و الشركات لافتات إشهارية و إعلانية باللغة الأجنبية مما يمس باللغة العربية بشكل مباشر .

كما نلاحظ إشاعة استخدام اللهجة العامية و استعمالها في الكتابة و الإعلام و حتى كتابتها أحيانا بحروف لاتينية (26) .

● السلع و المنتجات التجارية :

إن من أهم سمات العولمة هو الفاعلية الاقتصادية للشركات متعددة الجنسيات ، لـو ، م ، أ أو ألمانيا

وفرنسا و اليابان و بريطانيا التي تتواجد بها معظم الشركات العالمية الموجودة في العالم ، و لعل أهم تأثيرات العولمة على المستهلك يتأتى من خلال استخدام آلية السوق العالمية و كذلك تكنولوجيا الاتصال للترويج لثقافة الاستهلاك لا سيما أن المنتجات العالمية الخاصة بها ، و طبعاً فإن هذه السلع الاستهلاكية تدخل معها مفردات لغوية وفقاً لنمطية الثقافة المنتجة و بالتالي تأثر على العادات اللغوية لمستهلكيها ، فالكل اليوم يستعمل كلمة "الهامبورجر" الممثلة للوجبات السريعة و الأمثلة لا تحصى و لا تعد ، ناهيك عن لعب الأطفال لا سيما الدمى المتكلمة باللغة الأجنبية و الغير مفهومة أحياناً و التي يسعى الطفل إلى نطقها و تكرارها بشكل كبير و قد أشار مالك بن نبي منذ نصف قرن تقريباً إلى القيم المضمنة ضمن ثنانيا الأشياء التي نستوردها ونكدسها و نحن غافلون عن القيم التي تحملها إلينا و يكفي أنها حولتنا إلى شعوب مستهلكة بإرادتنا .

● المعلوماتية و الانترنت :

و فيما يخص هذا الجانب فإن اللغة الحاسوب و المعلوماتية فقد أحرزت هي الأخرى تقدماً مذهلاً مساهمة بذلك في زيادة التدفق المعرفي في العالم فهي الأخرى محتكرة بشكل كبير من طرف لغة واحدة ، حيث تقول الأرقام الدولية أن 90 ٪ من العناصر التي تتحرك في شبكة انترنت هي بالإنجليزية وحدها و85٪ من الاتصالات الدولية عبر الهاتف تتم بالإنجليزية أيضاً (27)

و لنا أن نتصور الكم الهائل من المفردات اللغوية التي تتسرب إلى الإستعمالات اللغوية للأفراد وبالتالي التركيبية الثقافية للأفراد مثل كلمة الشات chat و لتي تعني الدردشة الإلكترونية .

● المدارس الأجنبية :

حيث يتم التدريس بالغات الأجنبية بشكل كلي مما يساهم في نشر اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية إذ يتم فتح المدارس الإرسالية و الجامعات الفرنسية و الأمريكية التي تنشر اللغة الأجنبية و معها القيم الغربية و الأمريكية ، و هذا لا يعني بالضرورة إلغاء تدريس اللغات الأجنبية و إنما الإقتصار على تدريسها ك لغات و ليس تدريس المقررات العلمية بها (28).

وصفوة القول فإن تأثير العولمة على العادات اللغوية للأفراد أضحت حقيقة معاشة لا يمكن التهرب منها مما يستدعي العمل على وضع رؤية مستقبلية لمواجهةتها على جميع الأصعدة المذكورة آنفاً .

رابعا- الرؤية المستقبلية لمواجهة تأثيرات العولمة على اللغة :

إن الحديث عن هذه النقطة قد لا يخرج عن حيز الأسلوب الأنجع للتعامل مع العولمة بشكل عام ، لكن نحاول التركيز هنا على اللغة بشكل خاص ، و يمكن أن يتأتى ذلك من خلال :

إنشاء المخابر اللغوية و كذا السوسيوولوجية المهمة بدراسة اللغة العربية و كل ما يرتبط بها .
تحديث المعاجم اللغوية لتتناسب مع المعطيات المتجددة و لتتوافق أيضاً مع المفردات اللغوية الناتجة عن التغير الاجتماعي المتسارع .

توظيف الوسائل الإعلامية و المعلوماتية و الانترنت لغرض توسيع استخدام اللغة العربية من خلال إنشاء مواقع علمية و ترفيهية هادفة وفق المتطلبات الاجتماعية ، و كذلك وضع اللغة العربية في خضم البرمجة المعلوماتية بحيث تكون لغتنا متحركة في أطر التعليم و الاقتصاد و السياسة و مساهمة لمختلف الميادين الاجتماعية و هذا لا يعني تجاهل اللغات الأخرى و إنما الرقي باللغة العربية حتى تصبح لغة العلوم .

تعريب المصطلحات العلمية الجديدة حتى تجد لها مكانة في وسائل نقل المعلومات من إذاعة و تلفزيون كمبيوتر و شبكة الانترنت (29).

حسن تعليم اللغة العربية داخل العالم العربي و توسيع مجال تعليمها في خارج نطاق ذلك وهو ما أشار إليه المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة (إيسيسكو) السيد عبد العزيز عثمان التويجري في مداخلة له ضمن مؤتمر مجمع اللغة العربية المنعقد في: 2008/04/28 بالقاهرة ، أن اللغة العربية قضية استراتيجية في المقام الأول تمس الأمن الثقافي و الحضاري للأمم ، ولذلك فإن المسألة في عمقها تتطلب يقظة أشمل و أعمق و حركة أكبر و أنشط و عمل أكثر فاعلية و جدية في إطار التنسيق و التعاون العربي المشترك على مستوى المنظمات و المؤسسات و الجامعات و الهيئات المختصة من أجل توسيع نطاق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في البلاد الإفريقية و الإسلامية و في أوساط الجاليات العربية الإسلامية في بلاد المهجر(30).

الخاتمة :

إن ما حاولنا التطرق إليه ضمن هذا المقال هو غيض من فيض مما يواجهنا من تحديات العولمة إزاء اللغة ، إذ تظل اللغة كائن خاضع لناموس الارتقاء و هي دعامة أساسية للانتشار الثقافي و الحضاري ، ولكن الخوف من العولمة و أثارها لا يعني بالضرورة الانحصار على الذات و إنما ندعو إلى الأخذ بإيجابياتها محاولين تضادي أثارها السلبية ، فاللغة العربية عرفت أرقى عصورها في عهد الاحتكاك بالحضارات و اللغات الأخرى .

الهوامش:

- 1- أنس محمد أحمد قاسم : اللغة و التواصل لدى الطفل ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر، 2005 ص11.
- 2- نفس المرجع ، ص 14 .
- 3- أسعد السحمراني : ويلات العولمة على الدين و اللغة و الثقافة ، دار النقائس ، بيروت ، 2002 ، ص.92
- 4- أنس محمد أحمد قاسم : المرجع السابق ، ص ص 12 ، - 14.
- 5- هيلاري هنسون : إدارة الاتصال في المجتمع ، ترجمة محمود حمدي عبد الغني ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1999 ، ص 27.
- 6- أحمد عبد الرحمن حماد : عوامل التطور اللغوي ، دار الأندلس ، بيروت 1983 ، ص 143 .
- 7- نفس مرجع ، ص 203.
- 8- محمد السيد علوان : المجتمع و قضايا اللغة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 ص 61
- 9- نفس المرجع ، ص 62.
- 10- أحمد عبد الرحمن حماد : المرجع السابق ، ص 192.

- 11- نفس المرجع ، ص 168.
- 12- علي عبد الواحد وايفي : اللغة و المجتمع ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة دون تاريخ ، ص 15.
- 13- أحمد عبد الرحمان حماد :المرجع السابق ، ص 142.
- 14- علي عبد الواحد وايفي : المرجع السابق ، ص 23.
- 15- أحمد عبد الرحمن حماد : المرجع السابق ، ص 169.
- 16- علي عبد الواحد وايفي :المرجع السابق ، ص ص 30 - 31.
- 17- نفس المرجع ، ص 50.
- ❖ الرسم المصري القديم يسمى بالهيروغليف heirogrophe حيث هو خليط بين الرسم المعنوي و الرسم الصوتي ، و يشار إلى الشهر بصورة هلال في وسطه نجمة و إلى اليوم بدائرة في وسطها نقطة .
- 18 علي عبد الواحد وايفي : مرجع سابق ، ص 39.
- 19- نفس المرجع ، ص 63.
- 20- نفس المرجع ، ص 80.
- 21- علي عبد الواحد وايفي : المرجع السابق ، ص 108.
- 22-WARNIER(JEAN PIERRE) ,La mondialisation de la culture, casbah, ALGER, 1999,p12.
- 23- كمال بشر : اللغة العربية بين العوربة و العولمة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجلسة (11) الحادية عشر من جلسات المجمع في دورته الثامنة و الستين ، القاهرة ، 1.04.2002م، ص 42 موقع : www.Arabicadmy.org.eg
- 24- محمد الجوهري وآخرون : علم الإجتماع الإعلامي ، دار القاهرة ، مصر ، 2001 ، ص 171.
- 25- كمال بشر: المرجع السابق ، ص 43.
- 26- صوفي حسن أبو طالب : أثر العولمة على الهوية الثقافية ، موقع www.ISLAMIC.concil.com,
- 27- كمال بشر : المرجع السابق ، ص 43.
- 28- أسعد السحمراني : المرجع السابق ، ص 92.
- 29- صوفي حسن أبو طالب : المرجع السابق .
- 30- عبد العزيز عثمان التويجري ، الدورة 74 لمؤتمر مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 2008/04/28 ، موقع www.ISesco.org.ma